حَوْلَ تَهَجُّده

صلى الله عليه وسلم

وصلاته النافلة في الليل

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم)
من الصفحة 385 حتى الصفحة 406

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

حول تهجده ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجَّدْ به نافلةً لك ، عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً ﴾ .

قال علماء اللغة : الهجود هو النوم ، والتهجُّد ترك النوم بسبب الاشتغال بالصلاة .

والمعنى : ومن الليل فتهجد بالصلاة المشتملة على القرآن الكريم ، وعلى هذا تكون صيغة التهجد من صيغ السلب ، كالتأثُّم بمعنى ترك الاثم ، والتحرُّج وهو البعد عن الحرج ، وهكذا . . .

ومعنى : ﴿ نافلة لك ﴾ أي : عبادة زائدة لك على بقية فرائض الصلوات :

إما : على طريق الفريضة ، بناءً على أنَّ التهجد كان فرضاً عليه ﷺ دون أمته ـ قال الحافظ الزرقاني : وهو قول الأكثر وقول الإمام مالك .

وإما : على طريق التطوع ، ويكون تخصيصه ﷺ بكون التهجد نافلةً له ، باعتبار أن تطوعاته ﷺ هي خالصةٌ له في رفعة درجاته ، وكثرة حسناته ، وعلو مقامه ، لكونه لا ذنب عليه ؛ فالتهجد في حقه هو نافلة له خالصة بخلاف الأمة فإن لهم ذنوباً ، وهي تحتاج إلى كفارات ، ولهم تقصيرات ، وهي تحتاج إلى مكملات ، فتطوعاتهم الزائدة على فرائضهم يحتاجونها لتكفير ذنوبهم ، أو لتكميل ما انتقصوا من فرائضهم ، كما جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال : « . . وإن انتقص ـ أي : العبد ـ من فريضته شيئاً قال الله تعالى للملائكة: انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة . . » الحديث كما في (السنن) .

فصاحب مقام النفل الأكمل والفضل الأول ، هو سيدنا محمد ﷺ الذي أعطاه الله تعالى أعلى رتبة في النافلة ، ورتب على ذلك المقام المحمود الذي تحمده عليه الخلائق كلهم : الأولون والآخرون ، وهو مقام الشفاعة العامة العظمى :

كما جاء في (صحيح) البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال : رسول الله ﷺ « إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً ، كلُّ أمة تتبع نبيَّها ـ يقولون : يا فلان اشفع لنا ، حتى تنتهي الشفاعة إليَّ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود » .

وروى مسلم عن سعد بن هشام أنه قال : (قلت لعائشة رضي الله عنها : يا أمَّ المؤمنين أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ ؟

قالت : ألستَ تقرأ القرآن ؟

قلت : بلى .

قالت : فإن خلُق نبيّ الله ﷺ كان القرآن[1] .

قال : فهمَمْت أن أقومَ ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت ـ ثم بدا لي فقلت : أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ ؟

فقالت : ألسْتَ تقرأ ﴿ يا أيّها المزَّمل ﴾ ؟

قلت : بلى ؟

قالت : فإن الله عز وجل افترض قيام الليل من أول هذه السورة ، فقام نبيُّ الله ﷺ وأصحابُه حولاً ، وأمسك الله خاتمتها ـ أي : آخر سورة المزمل ـ اثني عشر شهراً في السماء ، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة بالتخفيف ـ أي : في قوله تعالى : ﴿ فاقرؤوا ما تيسَّر منه ﴾ ـ فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة) الحديث .

---

(١) أي : كان خلقه ﷺ القرآن في العمل بأحكامه ، والتأدب بآدابه ، والاعتبار بأمثاله وقصصه ، وحسن تلاوته ، والتحقق بجميع مطالبه .

وقد نقل الحافظ الزرقاني الإجماع على نسخ وجوب قيام الليل في حق الأمة .

قال : وشذَّ بعض التابعين فأوجبه ولو قدْرَ حلب شاة .

واختلف في نسخ وجوبه في حقه ﷺ على قولين للعلماء في ذلك .

وقت قيامه ﷺ متهجداً

روى الشيخان عن مسروق قال : سألتُ عائشة رضي الله عنها : أيُّ العمل كان أحبَّ إلى النبي ﷺ ؟

قالت : الدائم .

قلت : متى كان يقوم ؟ ـ وعند مسلم : أيُّ : حينٍ كان يصلي ؟ ـ

قالت : إذا سمع الصارخ .

قال الحافظ في (الفتح) : الصارخ : الديك ، وقد جاء في (مسند) الطيالسي في هذا الحديث : الصارخ : الديك . . والصرخة الصيحة الشديدة ، وجرت العادة بأن الديك يصيح عند نصف الليل غالباً .

قاله محمد بن نصر ؛ قال ابن التين : وهو موافق لقول ابن عباس : نصف الليل ، أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل . اهـ .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه بإسناد جيد ، عن زيد بن خالد الجهني مرفوعاً : « لا تسبُّوا الديك ، فإنه يوقظ للصلاة » .

وفي رواية : « فإنه يدعو إلى الصلاة » كذا في (شرح المواهب) .

وهذا القيام على هذا الوجه ، حكم له النبي ﷺ أنّه أحب القيام ، كما جاء في (الصحيحين) عن ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له : « أحبُّ الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوماً ويفطر يوماً » ـ وقد تقدم .

وذلك ليستريح من نَصَب القيام ، فإنه بعد القيام يريح البدن ، ويذهب ضرر السهر ، وذبول الجسم ، بخلاف السهر إلى الصباح .

وفيه من الحكمة أيضاً : استقبالُ صلاة الصبح وأذكار النهار بنشاط وإقبال .

وهذا بالنسبة للصلاة أيضاً أقرب إلى عدم الرياء ، لأن من نام السدس الأخير أصبح ظاهر اللون ، سليم الصدر ، فهذا أقرب إلى إخفاء عمله في الليل ، كما ذكر ذلك الحافظ في (الفتح) .

وبذلك يكون المتهجد قد نال فضائل تجليات الرب عزَّ وجل في الثلث الثاني والثلث الأخير ، كما ورد في (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول : مَن يدعوني فأستجيبَ له ؟ من يسألني فأُعطيَه ؟ ، من يستغفرني فأغفرَ له حتى ينفجر الفجر » كما في رواية مسلم .

قال في (الفتح) : زاد سعيد عن أبي هريرة : « هل من تائب فأتوبَ عليه ؟ » .

وزاد أبو جعفر عنه : « من ذا الذي يسترزقني فأرزقَه ؟ من ذا الذي يستكشف الضرَّ فأكشف عنه ؟ » .

وزاد عطاء عنه : « ألا سقيمٌ يستشفي فيشفى ؟ »

وزاد سعيد بن مرجانة عنه : « من يُقرِض غيرَ عديم ولا ظلوم ؟ » .

وقال في (الفتح) أيضاً : وفي هذا الحديث من الفوائد : تفضيل صلاة آخر الليل على أوله ، وتفضيل تأخير الوتر ، لكن في حق من طمع أن ينتبه ، وأن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار ، يشهد له قوله تعالى : ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ ، وأن الدعاء في ذلك الوقت مجاب . اهـ .

فكان أغلب قيامه ﷺ لصلاة الليل في أول النصف الثاني من الليل ، كما روى الشيخان وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ كان ينام أول الليل ، ويحيي آخره .

والمراد بأول الليل ههنا : الأولية النسبية ، وهي ما بعد صلاة العشاء ، وما يتصل بها من أوراد وقراءات مطلوبة بعد الصلاة وقبل النوم [1] ـ فإنه قد صح عن النبي ﷺ أنه كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها .

وكانت له ﷺ أوراد وقراءات قبل أن ينام :

---

(١) انظر شرح الزرقاني على المواهب ٥ : ٦٧

كما روى الإمام أحمد والترمذي وصححه عن عائشة رضي الله عنها : (أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل ـ أي : سورة الإسراء ـ والزمر) .

وأخرج الترمذي والنسائي عن جابر رضي الله عنه : (أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ : آلم تنزيل السجدة ، وتبارك الذي بيده الملك) .

وعن العِرْباض بن سارية رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ المسبِّحات قبل أن يرقُد ، وقال : « فيهن آيةٌ أفضل من ألف آية » رواه أحمد وأصحاب السنن .

ورواه ابن الضُّرَيس عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً ، وزاد : قال يحيى : فنراها الآية التي في آخر الحشر ـ أي : الآيات الثلاثة في آخر سورة الحشر .

وقال الحافظ ابن كثير : الآية هي قوله تعالى : ﴿ هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ﴾ .

والمسبِّحات ستٌ : (الحديد ، والحشر ، والصف ، والجمعة ، والتغابن ، وسبح اسم ربك الأعلى) .

أذكاره ﷺ

حين يستيقظ لصلاة الليل

كان رسول الله ﷺ إذا استيقظ من منامه لصلاة الليل ، يمسح النوم

عن وجهه بيده ، ويرفع رأسه إلى السماء ، ثم يكبر عشراً ، ويحمد عشراً ، ويقول : « سبحان الله وبحمده » عشراً ، ويقول : « سبحان الملك القُدُّوس » عشراً .

وفي رواية ابن مَرْدُوْيه : ثلاثاً ، ويستغفر الله عشراً ، ويُهلِّل عشراً ، ويقرأ خواتيم سورة آل عمران ، ويقول : « اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا ، وضيق يوم القيامة » عشراً ، ويدعو بقوله : « لا إلَه إلا أنت ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك ، اللهم زدني علما ، ولا تُزِغْ قلبي بعد إذ هديتني ، وهَبْ لي من لدنك رحمةً ، إنك أنت الوهاب » .

ونحن نذكر الأحاديث الورادة في ذلك :

روى الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته ، لينظر كيف صلاة رسول الله ﷺ بالليل ، قال ابن عباس : فاضطجعت في عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها ، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل ، أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل[1] استيقظ رسول الله ﷺ من منامه ، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر آياتِ الخواتيمَ من سورة آل عمران .

---

(١) قال الحافظ الزرقاني : فتردد ابن عباس في ذلك لخفائه عليه ، لأنه كان ابن عشر سنين ، فتحرى القول في الرواية وترك المساحة فيها ، وإلا فقيامه ﷺ إنما كان في النصف الآخر . اهـ .

وفي رواية ابن مَرْدُوْيَهْ : ثم استوى على فراشه قاعداً ، ورفع رأسه إلى السماء ، فقال : « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات ، ثم قرأ الآيات من آخر سورة آل عمران ، ثم قام إلى شنٍّ معلقةٍ ، فتوضا منها فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلي .

وعند مسلم : فتسوَّك وتوضأ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : فقمت فصنعت مثل ما صنع ، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه ، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي ، وأخذ بأذني اليمنى فَفَتَلها ، فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع ، حتى جاء المؤذن ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح .

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا هبَّ من الليل واستيقظ كبَّر عشراً ، وحمد الله عشراً ـ أي : من المرات ـ وقال : « سبحان الله وبحمده » عشراً ، وقال : « سبحان الملك القدوس » عشراً ، واستغفر عشراً[1] ، وهلَّل ـ أي : قال لا إله إلا الله ـ عشراً ، ثم قال : « اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا ، وضيق يوم القيامة » عشراً ، ثم يفتتح الصلاة[2] أي :صلاته في الليل .

---

(١) قال في (شرح المواهب) : أي : قال : « اللهم اغفر لي واهدني وارزقني » كما في رواية . اهـ .

(٢) انظر (سنن) أبي داود ، و (المواهب) للقسطلاني ، و (نزل الأبرار) .

إطالته ﷺ
في صلاة الليل

كان رسول الله ﷺ يُطيل القراءة في صلاة الليل ، ويُطيل الركوع فيها والسجود ، ويكثر من الدعاء في سجوده .

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قام رسول الله ﷺ حتى تورَّمت قدماه .

وفي رواية عنها : أن نبي الله ﷺ كان يقوم الليل حتى تفطَّرت قدماه ـ أي : تشققت من كثرة القيام ـ.

وفي رواية النسائي عن أبي هريرة : حتى تَزْلَع قدماه ، بزاي وعين مهملة ـ أي : تشقَّق ـ .

قال الحافظ في (الفتح) : ولا اختلاف بين هذه الروايات : إذ حصل الانتفاخ والورم ، وحصل الزلع والتشقق .

وجاء في رواية (الصحيحين) قالت عائشة : فقلت له : لِمَ تصنع هذا يا رسول الله ، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك ، وما تأخر ؟

قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » ﷺ .

والمعنى : أأترك تهجدي لما غُفر لي ، فلا أكون عبداً شكوراً ؟ بل : إن المغفرة هي سبب لكون التهجد شكراً ، فكيف أتركه ؟

وقد استدل بعض العلماء بهذا الحديث على جواز أخذ الإنسان نفسَه بالجهد في العبادة ، ومشقة البدن فيها .

قال الحافظ في (الفتح) : وحُمل ذلك ما لم يُفضِ إلى الملال ، لأن حال النبي كانت أكملَ الأحوال ، فكان لا يمل في عبادة ربه ، وإن أضرَّ ذلك ببدنه الشريف ﷺ ـ بل صح أنه ﷺ قال : « وجُعلتْ قرة عيني في الصلاة » .

فأما غيرُه ﷺ فإذا خشي الملل ينبغي له أن لا يُكدَّ نفسه ، وعليه يُحمَل قوله ﷺ : « خذوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا » . اهـ .

قال الحافظ القسطلاني : لكن ربما دسَّت النفسُ أو الشيطان على المجتهد في العبادة بمثل ما ذُكر ، خصوصاً إذا كبِر ، فتقول له : قد ضعُفْتَ وكبِرت ، فأبْقِ على نفسك ، لئلا ينقطع عملك بالكلية ـ قال : وهذا وإنْ كان ظاهره جميلاً ، لكنْ فيه دسائس ، فإنه إنْ أطاعه فقد يكون استدراجاً ، يؤول به إلى ترك العمل شيئاً فشيئاً ، إلى أن ينقطع العمل بالكلية ، وما ترك سيدُ المرسلين المغفورُ له شيئاً من عمله بعد كبره . اهـ .

وروى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : صليتُ مع النبي ﷺ ذاتَ ليلة ، فافتتح البقرة ، فقلت ـ أي : ظننت ـ يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت : يصلّي بها في ركعة ، فمضى ، فقلت : يركع بها ، ثم افتتح النساء ، فقرأها ، ثم افتتح آل عمران ، فقرأها ، يقرأ مترسِّلاً ،

إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ .

وفي رواية للنسائي : لا يمرّ بآية تخويفٍ أو تعظيم لله عز وجل إلا ذكره ، ثم ركع ، فجعل يقول : « سبحان ربي العظيم » فكان ركوعه نحواً من قيامه ـ أي : قريباً في الطول من قيامه ـ ثم قال : « سمع الله لمن حمده » ثم قام طويلاً قريباً مما ركع ، ثم سجد فقال : « سبحان ربي الأعلى » فكان سجوده قريباً من قيامه .

استفتاحه ﷺ صلاة الليل

كان رسول الله ﷺ يُطيل في استفتاحه الصلاةَ في الليل ، بأنواع من صيغ الاستفتاح .

فمن ذلك : ما رواه أبو داود عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي من الليل ، فكان يقول : « الله أكبر ـ ثلاثاً ـ ذو الملكوت والجبروت ، والكبرياء والعظمة » ثم استفتح ، فقرأ البقرة ثم ركع ، فكان ركوعه نحواً من قيامه . . الحديث .

وروى الإمام مسلم وغيره عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : سألتُ عائشةَ أمَّ المؤمنين رضي الله عنها : بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟

قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطرَ السموات والأرض ، عالمَ الغيب

والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » .

وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبَّر ، ثم يقول : « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك » ثم يقول : « لا إله إلا الله » ثلاثاً، ثم يقول : « الله أكبر كبيراً ـ ثلاثاً ـ أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم من هَمْزه ونَفْخه ونَفْثه » ثم يقرأ) .

وروى الشيخان وغيرهما ـ واللفظ لمسلم ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل ـ وفي رواية لأبي داود : كان ﷺ في التهجد بعدما يقول « الله أكبر » ـ:

« اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهنَّ ، أنت الحق،ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والساعة حق .

اللهم لك أسلمتُ ، وبك آمنتُ ، وعليك توكَّلتُ ، وإليك أنبتُ ، وبك خاصمتُ ، وإليك حاكمتُ ، فاغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ ، وما أسررْتُ وما أعلنتُ ، أنت إلهي لا إلَه إلا أنت » .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : ومعنى سؤاله ﷺ المغفرةَ ـ مع أنه مغفور له ـ أنه يسأل ذلك ـأي :يطلب المغفرة ـ تواضعاً وخضوعاً ،

وإشفاقاً وإجلالاً ، ولُيُقتدى به في أصل الدعاء والخضوع ، وحسن التضرُّع في هذا الدعاء المعيَّن .

وفي هذا الحديث وغيره مواظبتُه ﷺ في الليل على الذكر والدعاء ، والاعتراف لله تعالى بحقوقه ، والإقرار بصدقه ، ووعده ووعيده ، والبعث ، والجنة والنار ، وغير ذلك . اهـ .

ومن أدعيته ﷺ في سجود الليل :

ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده : « اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه ، دِقَّه وجِلَّه ، أوَّلَه وآخره ، سرَّه وعلانيته » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : فقدتُ رسول الله ﷺ ليلةً من الفراش ، فالتمستُه في البيت وجعلت أطلبه ، فوقعتْ يدي على بطن قدميه ، وهو في السجود ، وهما منصوبتان ، وهو يقول :

« سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت[1] اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيتَ على نفسك » رواه مسلم وأصحاب السنن .

ومن ذلك : دعاؤه ﷺ بزيادة النور .

كما في رواية مسلم ، عن ابن عباس لَمَّا بات عند خالته ميمونةَ زوجِ النبي ﷺ ليرى كيف صلاة رسول الله ﷺ في الليل ــ قال : فتكاملت

(١) جاء هذا في رواية أبي يعلى .

صلاة رسول الله ﷺ ثلاثَ عشرةَ ركعة ، ثم نام حتى نفخ ، وكنا نعرفه إذا نام بنفخه ، ثم خرج إلى الصلاة ، فصلى فجعل يقول في صلاته ـ أو في سجوده ـ:

« اللهم :اجعلْ في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن شمالي نوراً ، وأمامي نوراً ، وخلفي نوراً ، وفوقي نوراً ، وتحتي نوراً ، واجعلْ لي نوراً ـ أو قال : واجعلني نوراً » .

وفي رواية لمسلم أيضاً : ودعا رسول الله ﷺ ليلتئذٍ تسعَ عشرةَ كلمةً ، قال سلمة : حدثنيها كريب ـ أي : عن ابن عباس ـ فحفظتُ منها اثنتي عشرة ، ونسيتُ ما بقي ، فذكرها ، وقال في آخره : « واجعلْ في نفسي نوراً ، وأعْظِم لي نوراً » .

وفي رواية لمسلم أيضاً عن ابن عباس : فأذَّن المؤذِّن ، فخرج ﷺ إلى الصلاة وهو يقول : « اللهم اجعل في قلبي نوراً . . » إلى آخر الدعاء كما تقدم .

قال الحافظ الزرقاني : ولا خُلْفَ ـ أي : ولا اختلاف بين رواية دعائه بذلك في صلاته أو سجوده ، وفي حال خروجه إلى الصلاة ـ فقال ذلك في الصلاة الليلية وفي حال خروجه إلى صلاة الصبح . اهـ .

يعني أنه ﷺ فعل جميع ذلك .

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ ليلةً حين فرغ من صلاته يقول :

« اللهم إني أسألك رحمةً من عندكَ تهدي بها قلبي ، وتجمع بها

أمري ، وتَلمُّ بها شَعْثي ، وتردُّ بها غائبي ، وترفع بها شاهدي ، وتزكّي بها عملي ، وتُلهمني بها رشدي ، وتردُّ بها أُلْفتي ، وتَعصِمني بها من كلِّ سوءٍ .

اللهم أعطني إيماناً ويقيناً ليس بعده كفر ، ورحمةً أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة .

اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ، ونُزُلَ الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء . اللهمَّ إني أُنزل بك حاجتي وإنْ قصر رأيي وضَعُفَ عملي ، وافتقرتُ إلى رحمتك ، فأسألك يا قاضي الأمور ، ويا شافي الصدور ، كما تُجير بين البحور ، أن تجيرني من عذاب السعير ، ومن دعوة الثُّبور ، ومن فتنة القبور . اللهم ما قصُر عنه رأيي ، ولم تبلغْه مسألتي ، ولم تبلغه نيتي من خير وعدتَه أحداً من خلقك ، أو خيرٍ أنتَ معطيه أحداً من عبادك ، فإني راغبٌ إليك فيه ، وأسألك برحمتك يا ربَّ العالمين . اللهم يا ذا الحبلِ الشديد ، والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنةَ يوم الخلود ، مع المقرّبين الشهود ، الركَّعِ السجود ، الموفين بالعهود إنك رحيم ودود ، وإنك تفعل ما تريد . اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالِّين ولا مُضلِّين ، سِلْماً لأوليائك ، حَرْباً لأعدائك ، نحبُّ بحبِّك مَنْ أحبَّك ، ونعادي بعداوتك مَنْ خالَفك . اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجُهد وعليك التُّكلان . اللهم اجعل لي نوراً في قلبي ، ونوراً في قبري ، ونوراً من بين يديَّ ، ونوراً من خلفي ، ونوراً عن يميني ، ونوراً عن شمالي ، ونوراً من فوقي ، ونوراً من تحتي ، ونوراً في سمعي ، ونوراً في بصري ، ونوراً في شعري ، ونوراً في بَشَري ، ونوراً في لحمي ، ونوراً

في دمي ، ونوراً في مخِّي ، ونوراً في عظامي ، اللهم أعظمْ لي نوراً ، وأعطني نوراً ، واجعل لي نوراً »[1] .

وفي رواية عند أبي عاصم قال في آخره : « وهب لي نوراً على نور » .

قال الحافظ الزرقاني : سأل النبي ﷺ النورَ في أعضائه وجهاته ، ليزداد في أفعاله وتصرُّفاته وتقلُّباته نوراً على نور ، فهو دعاء بدوام ذلك ، فإنه كان حاصلاً له ﷺ لا محالة ، أو هو تعليم لأمته .

قال : وقال الشيخ أكمل الدين :

أما النور الذي عن يمينه فهو المؤيِّد له ، والمعين على ما يطلبه من النور الذي بين يديه ، **والنور الذي عن يساره** فنور الوقاية .

والنور الذي خلفه هو النور الذي يسعى بين يدي من يقتدي به ويتبعه ، فهو لهم من بين أيديهم ، وهو له ﷺ من خلفه ، فيتبعونه على بصيرةٍ ، كما أنه المتَّبَع على بصيرة ، قال الله تعالى : ﴿ قل : هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني ﴾ .

وأما النور الذي فوقه فهو تنزُّلُ نورٍ إلهيّ قدسي بعلمٍ غريب لم يتقدَّمه خبر، ولا يعطيه نظر . اهـ .

---

(١) قال الحافظ العراقي : رواه الترمذي وقال غريب ، قال : ورواه الطبراني أيضاً ، وقال العلامة الزبيدي في (شرح الإحياء) : رواه محمد بن نصر في (كتاب الصلاة) ، والبيهقي في (كتاب الدعوات) . اهـ .

ورواية الترمذي عن ابن عباس قد فصَّلتْ قول ابن عباس في رواية مسلم : ودعا رسول الله ﷺ ليلتئذ تسع عشرة كلمةً ـ كما تقدم .

هيئات صلاته ﷺ النافلة في الليل

كانت هيئة صلاته ﷺ النافلة في الليل على أنواع ثلاثة ـ كما في (المواهب للقسطلاني وشرحها) .

أحدها : أنه ﷺ كان أكثر صلاته قائماً ، دلَّ على ذلك الحديث الذي رواه أحمد ومسلم والترمذي وصححه ، عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : (ما رأيت رسول الله ﷺ صلَّى في سُبحته[1] قاعداً حتى كان قبل وفاته بعام ، فكان يصلي في سبحته قاعداً ، ويقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطولَ مِن أطولَ منها) .

أي : حتى تكون السورة القصيرة بسبب ترتيلها أطول من سورةٍ أطول منها خلت عن الترتيل .

الثاني : أنه ﷺ كان يصلي قاعداً ، ويركع قاعداً ، كما جاء في (الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ

---

(١) قال في (شرح المواهب) : السبحة بضم السين فسكون الباء ، هي النافلة ، وسميت بذلك لاشتمالها على التسبيح ، من تسمية الكل باسم البعض ، وخصت به دون الفريضة .
قال ابن الأثير : لأن التسبيح في الفرائض نفل ، وفي النوافل نوافل مثلها .

يصلي ليلاً طويلاً قائماً ؛ وليلاً طويلاً قاعداً ، وكان إذا قرأ قائماً ؛ ركع قائماً ، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد) .

الثالث : أنه ﷺ كان يقرأ قاعداً ، فإذا بقي يسير من قراءته ، قام فركع قائماً ، كما في (الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها : (أن رسول الله ﷺ كان يصلي ـ أي : النافلة ـ جالساً [1] ويقرأ وهو جالس ، فإذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلاثين آية ، أو أربعين آية ، قام وقرأها وهو قائم . .) الحديث .

قال الحافظ الزرقاني : فجمع رسول الله ﷺ بين ما يطيقه من القيام والجلوس ، إبقاءً على نفسه ، ليستديم الصلاة [2] .

وكان ﷺ يُرشد من نام عن حزبه من الليل أن يأتي به ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر ، فيكتب له كأنما أتى به في الليل :

روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ نام عن حزبه ـ وفي رواية ابن ماجه : عن جزئه [3] ـ من الليل ، أو عن شيٍ منه ، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر ، كتب له كأنما قرأه من الليل » .

قال الإمام النووي : في هذا الخبر دلالة على المحافظة على الأوراد . اهـ .

---

(١) وذلك قبل وفاته بعام ، كما تقدم في حديث حفصة رضي الله عنها .

(٢) انظر ذلك ٧ : ٤١

(٣) الحزب والجزء والورد كلها تؤول إلى معنى واحد ، وهو ما يجعله المسلم على نفسه ويعينه : من صلاة وقراءة قرآن ، وذكر الله تعالى ، وغير ذلك .

يعني أنه ينبغي للمسلم أن يواظب على أوراد عبادته ونوافله ، في الليل والنهار ، وإن نام عن شيء من ذلك في الليل فليأتِ به حتى الظهر من النهار ، ليستمرَّ الخير والنور والأجر بلا انقطاع .

قال العلامة القرطبي : وهذا الفضيلة إنما تحصل لمن غلبه نوم أو عذرٌ منعه من القيام به ، مع أن نيَّته القيام به ، وظاهره أن له أجره مكملاً مضاعفاً ، وذلك لحسن نيته ، وصدق تلهُّفه وتأسُّفه ، وهو قول بعض شيوخنا .

وقال بعضهم : يحتمل أن يكون غير مضاعف ، إذ التي يصليها ليلاً أكمل وأفضل - والظاهر الأول . اهـ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجعٍ أو غيره ، صلَّى من النهار ثنتيْ عشرة ركعةً) .

صلاته ﷺ في الضحى

روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله) .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن : (النبي ﷺ كان يصلي الضحى ستَّ ركعات) .

وروى مسلم عن أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فصلى ثماني ركعاتٍ .

قالت : ما رأيته صلى صلاةً قطُّ أخفَّ منها ، غير أنه كان يتمُّ الركوع والسجود .

وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (أوصاني خليلي ﷺ بثلاثٍ : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أرقد) ـ أي : قبل أن أنام .

وروى الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى اثنتي عشرة ركعة)[1] .

قال العلماء : ولا تنافي بين هذه الروايات ، فقد صلى رسول الله ﷺ الضحى تارةً ركعتين وهو أقلها ، وتارةً أربعاً وهو الأغلب ، وتارةً ستّاً ، وتارة ثمانية ، وتارة اثنتي عشرة ؛ وذلك أفضلها وأكثرها[2] .

وقد أخبر النبي ﷺ عن عظيم أجر المسلم الذي يصلي صلاة الصبح في جماعة ، ثم يقعد في مصلاَّه ، يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس وترتفع ، فيقوم يصلي صلاة الضحى :

فعن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قعد في مصلاَّه حين ينصرف من صلاة الصبح ، حتى يسبِّح ـ أي : يصلي ـ ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً : غُفر له خطاياه وإن كانت أكثر من زَبَد البحر » .

قال الحافظ المنذري : رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى ، وأظنه قال :

---

(١) انظر (المواهب) للقسطلاني وشرحه للزرقاني .

(٢) انظر (حاشية العلامة الباجوري على الشمائل) .

« من صلى صلاة الفجر ، ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس : وجبت له الجنة »[1] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « من صلى صلاة الغداة في جماعة ، ثم جلس يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ، ثم قام فصلى ركعتين : انقلب بأجرِ حجَّةٍ وعُمْرةٍ » .

قال المنذري : رواه الطبراني وإسناده جيِّد .

---

(١) ثم قال المنذري : رواه الثلاثة من طريق زبان بن فائد عن سهل ، وقد حسنت ـ أي : طريقه ـ وصححها بعضهم . اهـ .